

بين العصرين

رؤية إستراتيجية للمدينة السعودية الجديدة في القرن ٢١

دكتور / محسن صلاح الدين يوسف – كلية العمارة والتخطيط – جامعة الملك سعود

مقال منشور بمجلة العمران - العدد (٣) لسنة ١٤٢٨ - الجمعية السعودية لعلوم العمران



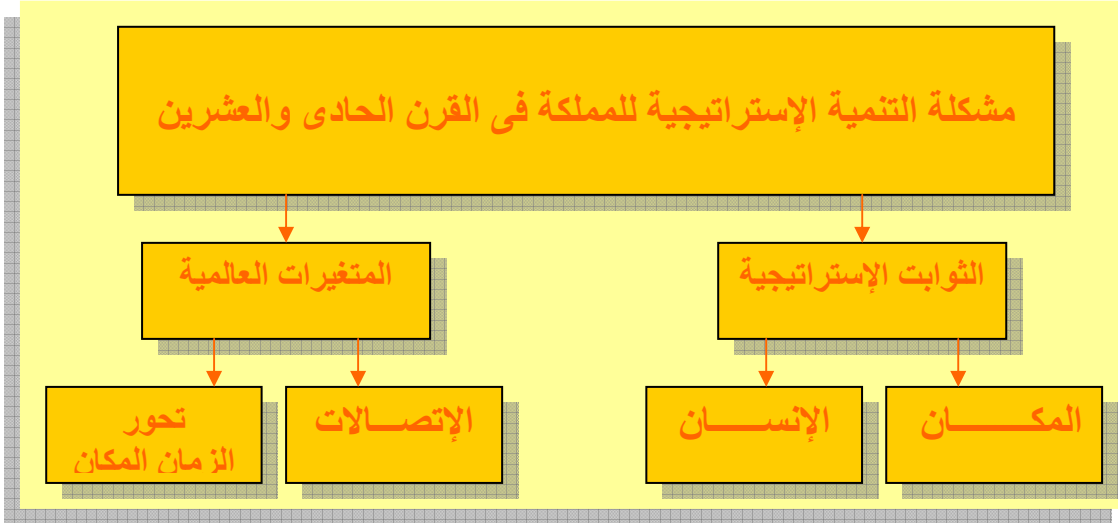
إنقضى عصر وجاء عصر ووقف المخططون بين العصرين وقفة كبرى للتفكير والتأمل ، مضى عصر الزمكان (الزمان / المكان Space-Time) وجاء عصر اللازمان و اللامكان . ولد العصر المعلوماتي ومضى العصر الصناعي الآلى منذ أكثر من نصف قرن ، ومازالت تتردد علينا أفكاره ونظرياته ورموزه وعناصره . والحديث عن ذلك العصر في الحضارة والعمران والمجتمع والفن والقيم وغيرها ، حديث ذو شجون وحتما سوف يطول ، ولكن الأهم منه هو الإيمان بضرورة التخلص من تقاليد العمل بذهنية العصر الصناعي وفكر القرن الماضي ؟! فقد تغير رمز الحضارة من خط التجميع الصناعي (Assembly line) إلى العقل المبدع (Creative Mind) وتحول الإنتاج من إعماده على الأرض والعمل والمادة الخام ورأس المال إلى اللأرض والطاقة الذهنية والإبتكار والقدرة التسويقية العالية (Marketability) ، وتحولت الطاقة الإنتاجية من كثيفة الأيدي العاملة (Labor Intensive) إلى كثيفة العقول المبتكرة (Brain Intensive) ، وبدأت تتلاشى أهمية الكثافة البشرية في الأعمال المكتبية (Bureaucratic Concentration) في كافة المؤسسات والأنشطة ، كبدائية لإختفاء الأحجام الضخمة لعناصر العمران التي صاحبت التطور المؤسسي للعصر الصناعي ، وبدأ يحدث تغير في كل مناحي الحياة تقريبا ...

تحليل مقارن لبعض متغيرات الحضارة في العصرين

المقارنة	الحضارة الصناعية	الحضارة المعلوماتية الإعلامية
نمط المسكن	العمارة السكنية والوحدة السكنية الصغيرة .	زيادة مسطح المسكن وفترة المكوث داخله .
الكثافة بأنواعها	عالية ومتمركزة بمناطق الصناعات .	منخفضة وموزعة علي تجمعات صغيرة .
النشاط الإقتصادي	الصناعة وما يرتبط بها من أنشطة	المعلومات والتخزين والنقل .
تخطيط المدينة	التقسيم الوظيفي لاستعمالات أراضي المدن .	تداخل استعمالات الأراضي .
نمط التخطيط	التخطيط الإقليمي والمخطط العام الجامد .	التخطيط الاستراتيجي عالي المرونة
حجم العمران	المدينة المتروبوليتانية والحي والمجاورة .	الوحدة العمرانية المتكاملة الصغيرة .
نمط الخدمات	حي الأعمال ومراكز الأحياء والمجاورات	التوزيع المبعثر للخدمات وفق قوانين السوق .

وفي مجال العمران ؛ بدأ يظهر في العقود الأخيرة عشرات الأدبيات التي تصف أو تنتبأ بعمران ومدينة القرن (٢١) في ظل الحضارة المعلوماتية ؛ وتسابق المخططون في صياغة مصطلحات تعبر عن شكل المدينة في عصر المعلومات ، منها على سبيل المثال : المدينة الافتراضية (The Virtual City) و المدينة السلكية (The Wired City) والمدينة المعلوماتية (The Information City) والمدينة عالية التعريض (The Overexposed City) و المدينة الخفية (The Invisible City) و المدينة البعيدة أو المتصلة عن بُعد (The Tele-city) و المدينة الذكية (The intelligent City) و المدينة المرنة (The Flexi City) و المدينة الطرفية (The Edge City) ، ... وغيرها الكثير .

فإذا كانت تلك كانت بعض ملامح التغير القادم ، فكيف يمكن تصور الرؤية والطموح للمدن الجديدة في المملكة بمنهج مستقبلي وفكر إستراتيجي في إطار هذا الكم الهائل من المتغيرات ؟ لاشك أن المملكة تواجه في بدايات القرن (٢١) العديد من الفرص والتحديات والتي تؤهلها لتأكيد مركزها الحضاري وتفوقها بين دول العالم المتقدم ، وذلك إذا ما تم صياغة إستراتيجية شاملة للتنمية العمرانية تراعي الثوابت المكانية الاستراتيجية ، وتتفاعل في تناسق وانسجام تام مع المتغيرات العالمية "أو العولمية" (Globalization) ، وبمعنى آخر صياغة إستراتيجية شاملة جامعة ذات صبغة "عولمية" (Glocalization) . فالتحليل العلمي لمشكلة التنمية العمرانية الإستراتيجية للمملكة في القرن (٢١) يتطلب من ناحية مراعاة واستثمار كافة الثوابت الإستراتيجية المحلية ، ومن الناحية الأخرى مواكبة أغلب المتغيرات العالمية العصرية .



المكان : فالمكان والمكانة منذ فجر الإسلام وحتى المستقبل البعيد أبرز أبعاد المملكة الإستراتيجية ، وفي ظل موجة العولمة سيلعب المكان دوراً بارزاً في ضبط حركة التفاعلات السياسية والإقتصادية العالمية ؛ مما سينعكس أثره علي كافة برامج وخطط التنمية الشاملة . وذلك من خلال التوظيف والاستغلال الأمثل لمقومات وإمكانات المكان ؛ بل يكاد يكون أبرز الاختيارات الاستراتيجية للتنمية الشاملة هو تسويق واستثمار القيمة التنافسية العالية للمكان (High Competitive Value) من خلال تعظيم الأنشطة الخدمية والترفيهية والتجارية وحركة النقل والشحن البحري والبري والجوي ، وخاصة بالأجزاء الساحلية .

الإنسان : فمن الثابت تاريخياً أن العقل العربي يتميز بقدرات إبتكارية عالية ومتميزة ، ولا شك أن إستثمار وتسويق الموارد البشرية (Human Resources) أو الموارد العقلية والذهنية (Brain Resources) يمثل خياراً إستراتيجياً رئيسياً في عملية التنمية الشاملة . وذلك من خلال التوسع في تطوير عملية التعليم الإبداعي وزيادة فرص تنمية المهارات الإنسانية (Human Skills) . وهو ما سيكون له إنعكاسه الواضح علي أشكال التنمية العمرانية . حيث ستلعب المراكز التعليمية والثقافية الإستثمارية دوراً بارزاً في عملية التنمية العمرانية كقاعدة إقتصادية أساسية (Economic base) حديثة وفريدة للتجمعات العمرانية الجديدة في المستقبل القريب .

الاتصالات : بدراسة وتحليل النموذج الأمريكي في مجال تطبيقه واستغلاله واستثماره لثورة الإتصالات ، يمكن إستخلاص مجموعة من المؤشرات التي سيكون لها أبلغ الأثر في رسم خطط وبرامج التنمية العمرانية الاستراتيجية للمملكة في القرن (٢١)

- تزايد عدد العاملين بالأنشطة المعلوماتية (Information activities) أو ما يطلق عليه الأنشطة عالية الرمزية (Super Symbolic Activities) حتى بلغ عدد العاملين بها أكثر من

منتدى العمران السعودي الأول
المدن الجديدة في المملكة .. الرؤية والطموح

- ٧٥.٠% من قوة العمل ؛ بينما لا تزيد نسبة العاملين بالنشاط الزراعي عن ٠.٢% من إجمالي قوة العمل ، وذلك بالرغم من أن الولايات الأمريكية تأخذ مركز الصدارة في تصدير المنتجات الزراعية .
- انتشار ظاهرة العمل عن بعد (Tele - Working or Tele - Commuting) حيث تزايد عدد العاملين عن بعد لأكثر من عشرات الملايين في الأعوام الأخيرة من خلال البريد الإلكتروني والفاكس والتليفون ... وتزايد هذا الرقم بصورة مضطردة في كافة الدول المتقدمة .
- تغيير مفهوم التصنيع التصديري ، فالصناعات الحديثة لم تعد هي تلك الصناعات التقليدية كثيفة رأس المال (Capital Intensive) أو كثيفة العمالة (Labor Intensive) وإنما أصبحت صناعات إبتكارية وعالية الإبداع الفكري حتى كاد يختفي " عامل الأوفرول " من كافة الأنشطة الصناعية في ظل ثورة الاتصالات وسيطرة الكمبيوتر والروبوتات علي كافة مراحل الإنتاج الصناعي .
- الإتجاه نحو تقليل حجم المؤسسات والشركات ، ونشأة مؤسسات وشركات افتراضية (Virtual) عالية الإتصال ، حيث أصبحت قيمة الشركات والمؤسسات الكبرى تتركز فيما تملكه من عقول مبتكرة وقدرة علي التطوير والإبداع ؛ وما تملكه من أجهزة وبرامج كمبيوتر متقدمة ؛ وقدرات تسويقية للمنتجات الجديدة ، وبدأ يتلاشي المفهوم التقليدي لقيمة وحجم المؤسسات وما تملكه من أصول ثابتة وعدد عاملين وغير ذلك .
- إنتشار ظاهرة التعليم عن بعد (Tele - Education and Distantant Learning) حيث تتطور أسواق العمل بسرعة فائقة ، مما يتطلب إستمرار تعلم الأفراد واكتسابهم مهارات متجددة فيما يعرف بالتعليم المتواصل (Sustainable Education) ، وذلك حتى يحافظ الفرد علي فرصة تواجده في سوق العمل . فأصبحت عملية التعليم واكتساب المهارات الجديدة ذات طبيعة ديناميكية مستمرة ، وذلك علي عكس الصورة التقليدية ذات الطبيعة الاستاتيكية للتعليم في العصر الماضي .
- إنتشار ظاهرة تسليم السلعة بالمنزل (Home Delivery) و تحولت المراكز التجارية العملاقة (Mega - Malls) لمناطق ترفيه وسياحة وقضاء وقت الفراغ أكثر منها أسواق لبيع السلع والمنتجات
- زيادة فرص الخدمات التي تتطلب الاتصال وجهاً لوجه (Face to Face Communication) مثل التمريض والعلاج ورعاية المسنين وحضانة الأطفال ، والحراسة ، وتنسيق الحدائق والنقل والتخزين والتعليم والتدريب ، والأعمال الاستشارية والترفيه والفندقة والسياحة حتى أصبحت الخدمات بكافة أشكالها هي صناعات القرن (٢١) .
- تزايد أهمية وقيمة البيئة الطبيعية والمحافظة علي البيئة وإثراءها ، مما أدى للإتجاه نحو إعادة إستغلال (Re - Use) كافة مخلفات المجتمعات العمرانية الحديثة ، مما يشير لتصاعد وتنامي قيمة صناعات التدوير (Re - cycling) في مجتمعات القرن (٢١) ، واعتبارها مصادر للثروة والدخل والاتجاه الأمثل للمحافظة علي البيئة (Environmental Conservation) .

التحول الزمن / مكاني : لا شك أن أهم نتائج ثورة الإتصالات والمعلومات هي التطور الجذري في مفهوم الزمن / مكان (Space / Time Revolution) حيث بدأ يحدث تضاعف زمني / مكاني مما أدى إلى انكسار الحدود (Boundary Breakage) الزمن مكانية بين الأنشطة والوظائف العمرانية المتباينة بالمدينة ، فأصبح الفرد يستطيع الاتصال بأي جزء في العالم وفي أي لحظة للحصول على أي شئ يريده أو تربطه به مصلحة معينة ، ولا شك أن تلك الثورة تمثل نقطة التحول الرئيسية ، والتي لا بد من استثمارها في المملكة .

الرؤية والطموح



لذلك فقد أصبحت هناك ضرورة ملحة لتطبيق إستراتيجية تنمية عمرانية إنتشارية ، بتوجيه التنمية العمرانية إلى خارج نطاقات التنمية الراهنة ، حيث تفرض الضرورات الوطنية تطبيق سياسة الانتشار العمراني الأفقي باعتبار أن الأرض التي لا يستوطنها أحد لا يملكها أحد (No Man's Land) وبناء عليه فهناك عدة محاور مطروحة للدراسة والتطبيق كمدخل للتنمية الاستراتيجية للمملكة في القرن (٢١) كما يلي

- تطبيق سياسة الإنتشار العمراني (Urban dispersal Policy) بالمحاور الساحلية والنطاقات البيئية البينية .
- الإتجاه نحو تفكيك التكتلات العمرانية الضخمة (Urban Sprawl) من خلال إنشاء مدن ضواحي حديثة نشطة ومتكاملة ... فيما يطلق عليه الضواحي الكلية (The Totalizing Suburbs) أو المدن الطرفية (Edge Cities) والتي تتوفر بها البيئة المعيشية النظيفة والهادئة ، وتضم الحدائق والأنشطة الترفيهية بجانب الوظائف العمرانية المتكاملة والمتباينة .

- التحرر من فكر المدن المليونية ونصف المليونية ، والذي سعت لتطبيقه الكثير من الدول النامية منذ السبعينيات واستنزف موارد تلك الدول وأدى لحدوث إختناقات في إقتصاد العديد منها ؛ دون أن يؤدي لأي تنمية عمرانية فعلية أو إيجابية كقيمة إستراتيجية مضافة .
 - الإلتجاه نحو سياسة المدن المدمجة (Compact Cities) والتي يبلغ حجمها في حدود (٥٠٠٠ : ١٠٠٠٠ نسمة ، ولا يزيد عن ٢٥٠٠٠ نسمة) ، وبحيث تقوم بتنميتها شركات خاصة في إطار قوانين الاستثمار وسياسة الخصخصة (Privatization) .. وبحيث تقوم تلك المدن علي قاعدة إقتصادية خدمية (Service Industry) .. كالتعليم الجامعي وقبل الجامعي الاستثماري ، أو العلاج السياحي ، أو النشاط الترفيهي المتميز ؛ أو الصناعات الحديثة والنظيفة كصناعة البرمجيات (Soft - ware Industry) وصناعة الإعلام (Media Industry) وبحيث تتميز تلك المدن المدمجة بطابع خاص وشخصية فريدة من خلال الموضوع أو الموضوعات التي تثرى البعد النوعي (Qualitative Dimension) لعملية التنمية .
 - الإلتجاه نحو التنمية الحداثية (Park Development) في كافة الوظائف العمرانية الجديدة وهو الإلتجاه الحديث الذي يهدف إلي توفير بيئة معيشية حداثية جمالية مستدامة في كافة الوظائف العمرانية المتبانية (مثل : Amusement Park ، Office Park ، Industrial Park ، Cultural Park ، ...) علاوة على أشكال المجمعات السكنية الترفيهية (Gated Communities) وغيرها .
 - الإلتجاه نحو إعادة النظر في فكرة مسكن الأسرة (Single Family house) بزيادة المجال الحيوي للفرد داخل وخارج محيط المسكن (Home Range) حيث ستؤدي ثورة الاتصالات لزيادة وقت الفراغ بصورة كبيرة وغير مسبوقه ، مع زيادة فرص التواجد لأكثر فترة ممكنة داخل المسكن لممارسة كافة الأنشطة الإنسانية .
- وأخيراً فإن أبرز ما يميز العصر القادم هو قدرة الفرد والمجتمع علي عملية التكيف السريع (Adaptability) مع التطور والتقدم - ذلك العصر الذي سيكون الثابت الوحيد فيه هو سرعة التغير (The Only Constant will be the Accelerated Change) - وهي المهارة والقدرة الأساسية التي يجب أن تسعى إليها برامج ومؤسسات التعليم والتنمية البشرية بكافة مستوياتها وأشكالها ، في ظل التغير الزمن / مكاني (Shape of Time) وهي الرؤية المعاصرة التي يطرحها المقال في هذا المقام ، للوصول إلي وضع خريطة استراتيجية لتنمية العمران السعودي في القرن (٢١) بحيث يقدم أسلوباً جديداً في الحياة (New Way of Life) وفقاً لروح العصر وشخصية المكان وعبقريته .